دمية القصر

ما حل أرضاً وهي تشكو جدبها ... إلا ترحل وهي أخصب من إرم .

وسما بخالص ما صفا من سره ... حيث انتهى مختار أسرار الأمم .

كالبدر بل كالشمس بل كلتيهما ... كالليث بل كالغيث هطال الديم .

لما سمع هذه الأبيات أبو الهيجاء علي بن أحمد الخوافي قال فيه : .

جميع من لهم نظم من الكلم ... أشعارهم دون شعر الحاكم الحكم .

قصيدة صاغها حذاء معجزة ... لكن صياغتها من جوهر الكلم .

رأيتها عذبة الألفاظ سائرة ... كأنها خلقت من صفوة الحكم .

ما أنشأت مثلها الأوهام مذ نشأت ... ولا جرى مثلها من مرعف القلم .

سقياً لقائله سقياً لمنشدها ... سقياً لسامعها في العرب والعجم .

الشيخ أبو نصر أحمد بن ينفع .

هو في المنصب خوافي وفي المنسب قشيري . ولست أروي وصفاً أجمع لفضائله وفضائل قبائله من قول الأديب أبي بكر اليوسفي فيهم : .

سقى آل ينفع صوب الحيا ... فهم في حساب العلا الحاصل .

هم الزائدون هم الفاضلون ... وغيرهم الزائد الفاضل .

لساني عن حالهم سائل ... ودمعي على غثرهم سائل .

إذا كنت في ظلهم قائلاً ... فإني بفضلهم قائل .

ثم الشيخ أبو نصر من بينهم رأس الرؤساء ووارث العزة القعساء وصاحب البيان الذي ينسي القرم جراجره والليث زماجره . ويتضاءل سحبان ويتضعضع لفصاحة بين لحييه فيتقعقع . ثم له من الترسل الحظ الأولى وقدحه فيه القدح المعلى . وكتب مدة في ديوان الرسالة للشيخ أبي نصر أحمد بن أحمد بن عبد الصمد الوزير والجاه بمائة والمال بنمائه والأمر نافد والقلب بأطراف الأماني آخذ . فلما حانت أيام الفترة وأصبت سماء الفتنة اجتمع إليه نفر من الغاغة واستولوا على النواحي المجاورة لناحيته بشن الغارة . ونظروا إلى العواقب بعين الحقارة ولم ينصفوا في مراعاة القارة حتى طلعت الرايات الطغرلية فانقضوا من حوله لخوف السلطان وهوله " كمثل الشيطان إذا قال للإنسان : اكفر فلما كفر قال : إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين " . ولولا سوء القضاء المضيق عليه لرحب الفضاء لأكب على العلم وهو فيه من الأعلام ولم يتعاط السيوف بدلاً من الأقلام غير أنه اغتر ببأسه الشديد وانتقل من القصب إلى الحديد . فأخذه السلطان أخذ عزيز مقتدر وأورده الأجل حتفه شرب محتضر . فصلب

ذلك الكبير بالمربع الصغير على بعض الخشاب . وأنشد : علو في الحياة وفي الممات ورثاه الشيخ والدي C بقصيدة أولها : .

لأبي نصر بن ينفع حزن ... في فؤادي تضيق عنه الضلوع .

جذع هالنا على الجذع منه ... منظر رائع وقلب مروع .

طاله الجذع فاستطال ولولا ... جهلها لم تطل كذاك الجذوع .

فمما بلغني من شعره ما أنشدنيه الشيخ أبو محمد الحمداني قال : أنشدني لنفسه مرثية ابنه أبي الحسن بن ينفع رحمهما ا : .

شف المكارم والعلا تعطيل ... إذ قيل ينفع ذو الندى مقتول .

سمح القضاء به فقلت مصدقاً ... إن الزمان بمثله لبخيل .

تبكي عليه بدمعها عين العلا ... والمجد مشقوق الصدار عليل .

لو كان مثلك من أصابك سيداً ... نفع العزاء ونفس التعليل .

قال : وأنشدني لنفسه وقد كتب منها إلى بعض أصدقائه من الحبس : .

دعوت فلاناً راجياً فكأنما ... دعوت به غيثاً من الجود هاميا .

وأوردني شرباً من الفضل صافياً ... وألبسته ثوباً من الحمد ضافيا .

على أن ذا يفنى ويبقى ثناؤنا ... وخير جزاء المرء ما كان باقيا .

قال : وأنشدني لنفسه أيضاً وكتب بها إلى شمس الكفاة ساعة وروده الحضرة : .

وشاعر جاء شعره ذهب ... ينثر من لفظه ومن كيسه .

له نثاران يبتغي بهما ... في عدله موضعاً لتعريسه .

إن ابن ليث أصابه سبع ... فصار من جحره إلى خيسه .

وأنشدني الأديب أبو القاسم مهدي بن أحمد الخوافي قال : أنشدني الشيخ أبو نصر لنفسه : قال : وكتب به إلى شمس الكفاة :